لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

وهنا نستأذن المطالع في ايراد شيء من معاني اولئك الكتّاب نعتبرها في انفسها مع قطع النظر عن اللفظ الذي تؤدَّى بهِ بل نختارها مما استقام لفظهُ ووضح معناهُ ليعلم ماتلك «الحقائق المعنوية» التي يشتغلون بتقريرها عن الاهتمام بتصحيح لغتهم ... وهذا ولا جرم بابٌ واسع ولكنا سنقتصر منهُ على الحقائق العلمية التي هي موضع تبجح اولئك القائلين وان لم تكن من غرضنا في هذه المقالة والحديث شجون

فمن تلك «الحقائق» قول بعضهم وقد سئل عن كيفية تكوُّن الاجرام التابعة للشمس فجآء في جملة جوابهِ ما نصُّهُ . « ان الكُتَل التي استحال اليها السديم دارت حول كتلةٍ كبيرة مركزية أو اصبح السديم بجملتهِ كتلةً واحدة تدور حول محورها وتشعّ حرارتها فبرد اولاً سطح السديم فتحول الى قشرة جامدة تكسرت وانفصلت عنهُ ثم تكونت قشورٌ اخرى في ازمنة مختلفة على كيفياتٍ يطول شرحها (! ...) فأدَّى ذلك الى تكوُّن السيارات والاقمار وظلت تدور كلها حول كتلةٍ مركزية هي الشمس » (زِه ...)

قلنا هذا لعمر الحق هو الخلط بعينهِ واول ما فيهِ خلط مذهبين مختلفين هما مذهب فاي وهو المفهوم من قولهِ « ان الكتل التي استحال اليها السديم دارت حول كتلةٍ كبيرة » والثاني مذهب لابلاس وهو قولهُ

بعد ذلك « او اصبح السديم بجملتهِ كتلةً واحدة تدور حول محورها » ثم جمع المذهبين جميعاً تحت التفصيل الذي ذكرهُ بعد ذلك وهو انما يصحّ بالقياس الى مذهب لابلاس دون مذهب فآي لان الاجرام التابعة للشمس على مذهبهِ وُجدت من اول تكوّنها منفصلةً عن الشمس كما هو ظاهر من مفاد عبارتهِ الاولى (١)

ثم ذكر في التفصيل المشار اليهِ ان سطح السديم تحوّل الى قشرةٍ جامدة وان تلك القشرة تكسرت وانفصلت عنهُ فصارت كِسَرها سياراتٍ واقماراً . ولينُظَر كيف تحوَّل سطح السديم الى قشرةٍ جامدة وهو ما لا يُعقَل بوجه ثم كيف انفصلت تلك القشرة بعد تكسُّرها وايّ قوةٍ أطارت كِسَرها في نواحي الفضاء ثم ما الذي جمعها من هناك وصيّرها جرماً واحداً وكيف صار ذلك الجرم الى الشكل الكروي وما الذي جعلهُ يدور حول الكتلة المركزية ولماذا كان دوران تلك الاجرام كلها في وجهةٍ واحدة من الغرب الى الشرق حول خط استواء تلك الكتلة ومن اين خُلِق لكلٍّ منها جوٌّ يحيط بهِ وماءٌ يجتمع عليهِ بحاراً وينتشر حولهُ بُخاراً وسحاباً . لا جرم ان كل ذلك من « الحقائق العلميـة » التي لم تخطر على قلب لابلاس ولو تجلت لفطنة فآي لما اضطرَّ الى احراق دماغهِ في استنباط مذهبٍ آخر يصحح بهِ القول في كيفية خلق العوالم ...

ثم قال « ويُستنتج مما تقدم ان الشمس ستبرد يوماً وتصير ارضاً مثل

(١) راجع الكلام على خلاصة هذين المذهبين في مجلد السنة الرابعة صفحة ١٦١ و١٩٣ وما يليهما

ارضنا وكذلك سائر الشموس بل السُدُم والقنوان (كذا) فانها ستتحول الى اجرام باردة ولكن برودها كلها في وقتٍ واحد بعيد الامكان اذ لا بد من حلول الحرارة في بعضها » اه. وهو كلام من يعمد الى التمويه على عقول القرآء بكثرة التخليط والتلبيس وانما الصحيح من ذلك كلهِ ان شمسنا وسائر الشموس الحاليّة ستتحول الى اجرامٍ باردة وهذا ما لا ردّ عليهِ واما السُدُم فلا تحول الى اجرامٍ باردة الا بعد ان تحول الى شموس فتدخل في حكم اخواتها واما انتقالها من حال السديمية الى حال الجمود فمن المحال الا اذا كان ذلك على رأيهِ المتقدم من ان ظاهر السديم يتحول الى قشرةٍ جامدة ... واغرب من هذا عطفهُ القنوان على السُدُم في ذلك الحكم وظاهرهُ انهُ يظن القنوان نوعاً من الاجرام السماوية غير ما ذكر وانما المراد بالقنوان الشموس عينها الا انها شموسٌ مجتمعة تؤلف جماعةً واحدة سميت بذلك تشبيهاً لها بقنوان النخل اي عناقيدهِ. وهي اما ان تميز بالنظر المجرد كنجوم الثريّا واما ان تُرَى شبيهةً بالسديم ولا تميز الا بالآلات البصرية ومن هذه قِنوٌ في ذات الكرسي وآخر في برشاوش واثنان في الجاثي وغير ذلك مما لا نطيل باستقصآء الكلام فيهِ

وبقي قولهُ آخراً « اذ لا بدّ من حلول الحرارة في بعضها » وهو من غريب الكلام الذي لم نفهمهُ ولا يخرج عن مثل ما تقدم . وجلآء هذا الموضع على ما ذكروا فيهِ ان الاجرام بعدَ ان تطفأ ويذهب نورها قد يتفق لها ان تعود سديماً بان يصدمها جرمٌ من الاجرام الحية او الميتة فتشتعل على نحو ما شُوهِد منذ اربع سنوات في صورة برشاوش ثم يكون

منها ما يكون من سائر السُدُم الى ان تعود اجراماً تدور في الفضآء كغيرها من النجوم

وقال في موضع آخر في مثل هذا البحث « ان الشمس ستبرد في زمنٍ لا يعلمهُ الاّ الله فتنقضي الحياة عن هذه السيارات ولكنها ربما ظهرت في نظام آخر لا يزال سديمهُ الى الآن حامياً بعد ذلك » وهذا الكلام ضربٌ من المعمّيات ولكنهُ عندنا خيرٌ من الكلام الذي سبقهُ اذ لا تَبِعة فيهِ على الافهام ...

وجآء في كلام آخر ما نصهُ « شُوهِد المريخ بالتلسكوب ورؤيت الحلقة المحيطة بهِ كالنطاق والسُفَع المنتشرة عليها » وهو من مضحك الكلام لان المرّيخ لم تكن حولهُ حلقةٌ قطّ والظاهر انهُ رأى فيما ترجمهُ اسم زُحَل فعرّبهُ بالمريخ الاّ ان زُحَل مطوّق بثلاث حلقات لا بحلقة واحدة . وزاد في الطين بِلّةً ما ذكرهُ بعدذلك من حديث السُفَع المنتشرة عليها اي على تلك الحلقة وهو ليس بأقلّ غرابةً مما سبقهُ اذ لا سُفع هناك ولعلّ عبارة الاصل تشير الى الظلال التي تتخلل الحلقات المذكورة اوالمناطق التي تُرى على سطح زُحَل فترجمها بالسُفَع　　(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

ولقد ورد على لسان حكيم ملوك اسرائيل ما نصهُ « رجلاً صالحاً بين الف رجلٍ وجدتُ اما امرأةً صالحة بين جميعهنَّ فلم اجد » [١] فيا لها

(١) سفر الجامعة (٧ : ٢٩)

من ضربةٍ هائلة اصاب بها كل انثى من بني البشر مع ان القائل كان على رواية الكتاب مكثراً منهنَّ معجباً بجمالهنَّ منهمكاً في محبتهنَّ . فان كان اصابهُ بعض ما يكره من جرى انقيادهِ لآرآء من أحبَّ منهنَّ فعلى مَن يتجه اللوم اولاً ؟ وان اتجه على النسآء المسببات أفمن العدل ان يُرمى الجنس كلهُ بهذا السهم ألا وهو الجزم بكونهِ على اطلاقهِ شرّيراً

اما الانجيل فهو اول كتاب دينيّ تفرَّد بالانتصار للمرأة الساقطة فرفع شأنها حتى على الملائكة بما ذكرهُ عن كيفية ولادة صاحبهِ من أمهِ البتول التي يدعوها اكثر المتمذهبين بالنصرانية « سلطانة المخلوقات » ثمَّ قرَّر المساواة التامة في أمور الحياة بجملتها بينها و بين الرجل بتعليمهِ ان ان الرجل والمرأة انسانٌ واحدٌ لا اثنان وان الزواج رباطٌ مقدس ملازمٌ للحياة لا يقبل الحلَّ بغير الموت

وهكذا حرَّر المرأة تحريراً مطلقاً من عبودية الرجل وانقذها من بلآء الضرار وعار الطلاق . ثمَّ بيّن وجوب اعتبارها ركناً عظيماً من اركان الالفة البشرية لان واضعهُ السامي لم يأنف من مجالسة النسآء بل كان يصحبهنَّ في حلِهِ وترحالهِ ويعتمد عليهنَّ في كثيرٍ من احوالهِ ويوجّه الحديث اليهنَّ في كثيرٍ من مواعظهِ وارشاداتهِ من مثل حديثهِ مع السامرية ومريم ومرثا اختي اليعازر . وقد أنَّبَ الذين جآءوا يستشيرونهُ في رجم الغاوية وانقذها من القتل بتقريعهِ الرجال المشتكين عليها على تحاملهم بقولهِ لهم « من كان منكم بلا خطيئةٍ فليرجم هذه المرأة بحجر » فكأنهُ يقول لهم ان كلاًّ منكم لم يتنزه عن مثل هذه الحال أفتأمرون الناس بالبرّ وتنسون

انفسكم وتوجبون معاقبة غيركم على ما تعفون ذواتكم من العقاب عليهِ

وهكذا كان للتعليم الانجيلي الفضل الأتمُّ على المرأة وبالتالي على النوع البشري بهذا الارشاد . واما الحواري بولس الروماني الذي على تعاليمهِ المعوَّل في اكثر التقاليد المسيحية فقد حذا حذو معلمهِ بتحريض الازواج على محبّة النسآء واكرامهنَّ ووجوب احترامهنَّ والعناية بهنَّ بيد أنهُ قرَّر للزوج الامتياز والسيادة التامّة على الزوجة اذ سمّاهُ رأسها كما ان المسيح رأس الكنيسة وامرها بطاعتهِ كما امرهُ بمحبّتها فكان فيما فعل مقيّدًا ما ورد من الجزم بالإطلاق على لسان معلمهِ ومضعفاً قوة التصريح بالمساواة بين الجنسين فعادت المرأة بعد هذا القول الى ربقة الاستعباد الشائع عند سائر الامم وانما لبثت المرأة المسيحية ممتازةً بخلاصها من ويلين عظيمين - هما الضرار والطلاق — وليس ما تميَّزت بهِ بقليل

— ٧ —

ان المرأة لما وجدت ذاتها رهينة الغدر والحيف اسيرة الجور والغبن عادمة المسعف والمجير وهي مرتبطة مع الرجل بالنوعية والمعاش والالفة ارتباطًا لا حلَّ لهُ ولا انفكاك عنهُ ولا مناص منهُ فضلاً عن احتياجها الى حمايتهِ بسبب قوتهِ وضعفها لم ترَ بدًّا من الاذعان لاحكام الضرورة فاستسلمت لها صاغرةً وانقادت الى الحيلة فانها سلاح الضعيف وكانت في ذلك مضطرّة ـ وما على المضطرّ من جُناح ـ قصد ان تقوى على التخفيف من ثقل النير الاستبدادي الموضوع على عنقها بيد الجهل والاستبداد

ومن المعلوم بداهةً ان الحيلة تولد المكر والريآء فتمكنت هاتان الصفتان مع تقادم الايام وتوارثهما بالتعاقب من امٍّ الى بنتٍ في هذا المخلوق المقهور حتى توهم الرجل انهما من غرائز المرأة الطبيعية وانها في كل حال احطّ من الرجل وادنى خلقاً وادراكاً وصفاتٍ (١) . والحال ان تطبُّع المرأة على تلك المعدودات انما هو عارضٌ حادثٌ نشأ عن الظلم لا

(١) قال ابقراط وارسطو وغيرهما من الفلاسفة ان المرأة احط من الرجل. وقال آخرون انها احيل من الرجل واكسل وابخل واكثر كبراً وحسداً واشد حنقاً وحقداً . وقال كواتلت وغيرهُ من المشتغلين بعلم مقابلة افعال الانسان المعروف عندهم بالدموغرافيا ان المرأة اقل ارتكاباً للجرائم من الرجل والذي يمنعها من ذلك انما هو حيآؤها وانكسارها وعوائدها التي تحجبها عن الناس في اكثر اوقاتها وضعف جسدها وقلة الظروف الداعية الى الخصومات لابتعادها عن المعاملات المالية والشواغل ذات الكسب واعفآئها من الانفاق . وقال آخر ان المرأة اذا استقوتك استعطفتك ببكآئها واذا استضعفتك قتلتك بكبريآئها . وهي محسنةٌ اكثر من الرجل لكن احساناً لا يغني ولا يطاق وقلما تفعلهُ الا لغرضٍ دينيّ . وقال علمآء الاخلاق انها لاهية متقلبة مفرطة مطبوعة على الخرافات والعناد والتمسك بالعادات القديمة اكثر من الرجل وهي مهذار شديدة الهلع

وقال بروكا العالم الانثروبولوجي ان المرأة اقلّ ادراكاً من الرجل . وقال دروين ان الرجل والمرأة اذا تجاريا فالسابق هو . وقال دلوني ان المرأة تثابر على العمل اكثر من الرجل الا انها اقل ادراكاً منهُ وعملها اقرب الى ان يكون آليًّا من ان يكون عقليًّا . وقال ڤولتير ابت المرأة ان تعيش الا بعواطفها فان لم تجد في الارض من تجعلهُ يحبها لشناعتها او لمرضٍ او عيبٍ فيها او لشيخوختها اذ تكون بلغت السنّ التي لا يمكن ان تحب بعدها وجهت عواطفها نحو السمآء وشغلت قلبها بحب الآلهة والقديسين

خلقٌ ذاتيٌ فهو يزول بزوال مسببهِ ولو عقل الرجل في مبدأ امرهِ فعدل عن خطئهِ القاسط محافظاً على ما لرفيق حياتهِ المحبوب من السجايا الفطرية استجلاباً لسعادة الاثنين وهنآئهما معاً لتمّ لهُ ما احبّ وعُدَّ من الفائزين [١] ولكنهُ ابى الا ان يزيد ظلمهُ لها ظلماً وجورهُ عليها جوراً فقال ان المرأة مطبوعة على الحيلة والمكر مجبولة على الخبث والدهآء حتى تطرّف فقال

ان النسآء شياطينٌ خُلقنَ لنا   نعوذ بالله من كيد الشياطينِ

ولم يقف الرجال باقترآئهم على المرأة عند هذا الحدّ بل تجاوزوا الى ما هو انكى وادهى مما لا يحمد بيانهُ .. وقد غاب عنهم حقيقة ما ورد في قول الشاعر

انما المرأة مرآةٌ بها   كلُّ ما تنظرهُ منك ولك

فهي شيطانٌ اذا افسدتها   واذا اصلحتها فهي ملك

فلو سمح لها الرجل كما سمح لنفسهِ ان تدخل حدائق العلم والتهذيب لتعرف ما لها وعليها وعاملها بالنصفة والعدل والرفق كبشرٍ مثلهِ لهُ روح وحسّ وضمير لما غشيها من الجهل والضعف ما لجأ بها الى الحيلة والمكر حتى اصبحا شعاراً لها . ولكن اين من ينصفون   (ستأتي البقية)

---

(١) من العادة عند الروسيين انهُ اذا حكم على احدهم بالنفي الى سبيريا عدّوهُ ميتاً وحقّ لامرأتهِ ان تتزوج بغيرهِ ولورثتهِ ان يقتسموا موجوداتهِ . ولكن النسآء الروسيات الشريفات يتبعنَ ازواجهنّ الى منفاهم الذي يفضل عليهِ الموت و يشاركنهم في الضرّآء كما قاسمنهم السرآء . وكذلك فعلت برسكوفيا زوجة مورافياف الروسي فانظر الى هذا الوفآء واحكم بما تشآء

الوان البحار

اذا فحصنا مآء البحر وجدنا انهُ ليس بادنى نقآء وشفوفاً من المآء النابع من الصخر فقد ذُكر انهُ في بعض نواحي بحر الشمال تُرَى الاصداف واضحةً على عمق ١٤٥ متراً وفي بحر الانتيل يُرَى دَرَك البحر على هذه المسافة نفسها كانهُ على بعد بضعة امتار فتُرَى هناك الاصداف ومنابت المرجان واصناف الطحالب البحرية جامعةً لأبهى ألوان قوس قُزَح . ولكن اذا تجاوزت المسافة المقدار المذكور فان اشعة الشمس تضعف شيئاً فشيئاً فيقلّ وضوح المنظورات حتى اذا بلغ العمق ٤٠٠ او ٥٠٠ متر كانت هناك ظلمة داجية . اما نور القمر فلا يتعدى الى ما ورآء ١٣ متراً في المآء

ثم ان مآء الاوقيانوس اذا نُظِر اليهِ في مكانٍ عميق فلونهُ ازرق سماويّ وهذا اللون ناشئٌ عن كونهِ يمتصّ جميع الوان الطيف ما خلا اللون الازرق فانهُ يدفعهُ فيُرَى ملوَّناً بهِ . على ان هذا اللون غير مطَّرد في جميع البحار على حدٍّ واحد فان البحر حوالي جزائر الملديف اسود وفي خليج غينيا ابيض وبين الصين واليابان اصفر وفي خليج كاليفُرنيا يضرب الى الحمرة وكذلك في بعض نواحي بحر القُلزُم وهو السبب في تسميتهِ بالبحر الاحمر . وعند جزائر السعادة وجزائر ارسور يضرب الى الخضرة وكذلك في بعض نواحي الخليج الفارسي فانهُ على طول شواطئ بلاد العرب يُرَى منهُ طريقةٌ خضرآء بحيث ان الراكب فيهِ يرى المآء

الذي الى شمالهِ ازرق والذي الى يمينهِ اخضر . وفي الاوقيانوس الشمالي قد يُنتقَل فجأةً من المآء الازرق السماوي الى مآء اخضر زيتوني . قيل والسبب في حمرة مآء البحر الاحمر وجود طحالب دقيقة ارجوانية اللون تكثر في بعض الاحيان كثرةً عجيبة فيظهر المآء ملوَّناً بها وبخلاف ذلك خليج كاليفرنيا فان حمرتهُ مسببة عن نُقاعيات مجهرية حمرآء اللون وكذا يقال في خضرة مياه البحر الشمالي . اما ما يُرَى من السواد في مياه البحر الاسود فلكُدرة جوّهِ بما يحدث فيهِ من العواصف والزوابع لا لشيء في مآئهِ

على أن النقاعيات المذكورة فضلاً عن انها تلوّن مآء البحر احياناً فقد تكسوهُ حُلّةً من النور وهو ما يسمَّى بالتأَلُّق وقد طالما كان ذلك في الزمن القديم موضعاً لحيرة المسافرين وربما اشعرهم لاول وهلةٍ خوف الحريق. وهو يُرَى في جميع العروض الا ان اكثر ما يُشاهَد في الاقاليم الحارّة كالهند وشواطئ مالابار والملديف وسائر الجُزُر المجاورة فانهُ يظهر فيها هذا المشهد بكل جمالهِ ويتجدد في كل مسآء ولا سيما في اوقات السكينة حين يكون وجه البحر مكسوًّا بالتجعدات او الامواج الخفيفة . وقد وصف بعض السُيّاح هذا المنظر فقال انهُ لا يكاد يغيب ضوء النهار حتى تبتدئ انوار التألق بالظهور فتُرَى ألوف الألوف من الاجسام النورانية كانها تدور وتتصادم على وجه المياه وهي في حركةٍ دائمة بين ظهور وخفآء. ويزداد النور شدةً على جوانب السفن والصخور التي تتنفس عليها الامواج وكل ضربة مجذافٍ او حركة دولاب ينبثق عنها شهابٌ من النور وكل سفينةٍ ماخرة يتبعها خطٌّ طويلٌ نيّر يضعف كلما ابتعدت عنهُ الى ان

يضمحلّ . وعلى الجملة فكل حركةٍ في المآء طبيعيةٍ او غيرها يتبعها تألق ولكن البحر يتألق احياناً من تلقآء نفسهِ من غير حركة فيُرى هناك بساطٌ من نور قد امتدّ على ثَبَج المآء فينقبض احياناً وينبسط ويقصر ويستطيل ويتشكل بكل شكل

وقد خبط الأوّلون خبطاً عجيباً في تعليل هذا الحادث فارتأى بعضهم انهُ مسببٌ عن كهربآئية في البحر وزعم آخرون انهُ مسببٌ عما يخالط مآءهُ من الاملاح وقيل انهُ ناشئٌ عن موادّ معدنية ومركّبات عضوية من الحيوان او النبات يحدث هذا التألق عند انحلالها . وذكر احد ثقات العلمآء ان بعض اللحوم من طبيعتها ان تضيء في الظلمة وان مثل ذلك رُؤي في بعض المبرزات الحيوانية اذا سبقها اتّخاذ الفصفور وفي بول المصابين ببعض انواع الامراض ومفرزات بعض الجراح وكذلك في السمك وعلى الخصوص البحريّ منهُ في اوائل انحلالهِ . قال وليس من الناس الا من رأى في ليالي الصيف بين الاعشاب والغياض نُقَطاً منيرة هي منبعثة عن حيوان صغير يُعرَف بالحُباحِب .على ان في البلاد الحارّة الوفاً من الهوامّ المضيئة حتى ان من الفقرآء في جزيرة كوبا من يستصبح بهذه الهوام فيتخذون قرعةً فارغة يثقبونها عدة ثقوب ويجعلون فيها بضعاً من هذه الهوام فتكون لهم مصباحاً لا يَطفأ

وعليهِ فلا يُستبعَد ان يكون في البحر شيءٌ من امثال هذا الهوامّ فاذا صعدت الى ثَبَج المآء ظهر لها هذا الضوء . على ان جِيَف الاسماك الميتة وما يتخلل بنآءها من الفصفور المنتشر في مآء البحر تكون ولا ريب من

جملة الاسباب في ذلك وقد اختبر كلا الامرين جماعةٌ من ركاب البحر في اوقاتٍ مختلفة فثبت لهم كلٌّ من القولين . اه

القصيدة الطنطرانية

ننشر هذه القصيدة اجابةً لمن سألنا ذلك من مشتركينا الادباء على ما تقدمت الاشارة اليهِ لا لان فيها ما يستحقّ النشر اذ هي من ضعيف الشعر لغةً ومعنى . وهي من نظم معين الدين ابي نصر او ابي البركات احمد بن عبد الرزاق الطنطراني المتوفى سنة ٤٨٥ للهجرة مدح بها الوزير نظام المُلك ابا علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي . وقد اجتهدنا في تصحيح روايتها بعد ان جمعنا لها ثلاث نسخ قديمة اثنتان منها مشروحتان وقد اتفقت النسخ الثلاث على روايةٍ واحدة الا في مواضع قليلة اخذنا منها بالامثل . والقصيدة هي هذه

يا خليَّ البال قد بلبلت بالبلبال بال
بالنوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال
يا رشيق القدّ قد قوَّستَ قدّي فاستقمْ
في الهوى وافرغ فقلبي شاغلُ الاشغال غال
يا أسيل الخدّ خدَّ الدمع خدّي في النوى
عبرتي وَدقٌ وعيني منك يا ذا الخال خال
كم تُسقِّي زُمرةَ العشّاق غسّاق الجوَى
كم تسوق الحتف من ساقٍ عن الخلخال خال
ان قلبي في خُمارٍ هاج مَن سكر الهوى
فأسقني من فيك خمراً فيهِ كالسلسال سال.

*

لُحتَ من وجهٍ جميلٍ جملةَ العشاق شاق

جُدْ بتقبيلٍ اليهِ قلب ذي المشتاق تاق

*

يا غزالاً قدُّهُ في المشي كالارماح ماح

ريقهُ راحٌ وما في غير تلك الراح راح

لم يزل يرتاض في جنات عَدْنٍ مَن جنَى

مِن جنًى بستان خدٍّ منك كالتفّاح فاح

قطُّ ما افرحتني مذ بالاسى ابرحتني

سُرَّ صباً مذ غدا في الحزن ما في الراح راح

قد كتمتُ الحبَّ في قلبي زماناً فاغتدى

درٌّ جاري ادمعي بالسرّ كالمصباح باح

من يلُمْني في هوى الحُور الغواني قد غوى

ان هذا الامر لي من ربّيَ الفتّاح تاح

*

نَجِنِي عمّا اقاسي ان حتني الآنَ آن

لِنْ لنا قلباً فقاسي القلب للخُلّان لان

*

في عِراص الوصل عانِي هجرك الغدّارِ دار

لا ترحَّلْ فالحشا من كثرة الاسفار فار

لم تزل تزورُّ كبراً منك عني جانباً

لا تجبَّرْ فالفتى من قلبهِ الجبَّارِ بار

مذ شددتُ الوسط مغترًّا بزنَّار الهوى
لم ازل في النار والأَولَى بذي الزنَّار نار
تاهَ قلبي اذ اتاهُ من تباريح الجوى
ما افاق القلبُ مذ من طرفك السحّار حار
ذَرْ هوى الغزلان واْختَرْ مدح صدرٍ ماجدٍ
جائدٍ قَرْمٍ سريٍّ عن شِعار العار عار

*

سيّدٌ في كل خطبٍ سادةَ الآفاق فاق
أَيّدٌ في الدين بلواهُ الى الفُسَّاق ساق

*

فخر دين الله مَن جدواهُ في الإِنعامِ عام
وهو من جنس المعالي كثرةَ الاكرام رام
نصر رايات الهدى سبّاق غايات النَدَى
عادلٌ هنديُّهُ العالي على الغُشَّام شام
مُوتِم الأبناءِ في الهيجاءِ من آبائهم
مشفقٌ اشفاقُهُ الموموق للأَيتام تام
صام للمعبود عن لذاتهِ لكنَّهُ
ليس عن قتل الاعادي مِخذَمُ الصمصام صام
ضيغمٌ من دأبهِ إرغام ضرغام الشرَى
باسلٌ حمسٌ الى ضرب الطلَى والهام هام

*

لو رآهُ صاحبٌ عن صنعة الكتّاب تاب

اوعراهُ رُستَمٌ في موضع الإرهاب هاب

*

يا علياً عنـدهُ العلاّمُ ذو الارشاد شاد

زاهداً تقواهُ في دنيـاهُ للزُهّاد هـاد

يا نظام الملك يا فخر الورى يا من اذا

جآءهُ المستنجد المظلوم بالانجـاد جاد

شأنُهُ إصفاد مَن والاهُ من آلآئهِ

واغتدى شانيهِ في الأَغلال والأَصفاد فاد

اصبحت منصورةً رايات دين المصطفى

منهُ واستردى جهاداً مَن الى الإلحاد حاد

يُرعِد الاطواد بالإيعاد حـتى انهُ

لو رأتهُ ما اعتدت من هول ذا الايعاد عاد

*

منهُ في نادي الاعادي طارق الآجال جال

ما لهم مذ راعهم من شدة الاوجال جال

*

مُقسِطٌ اضحى ومنهُ منهل الانصاف صاف

قاصرٌ امسى على الاعدآء بالاجحاف حاف

ساد والحساد عنهُ في انحطاطٍ دائم

ان عُلياهُ لهم كالزَعزَع النسّاف ساف

لم يزل يعطي لعافي نارهِ اوطارَهُ
آثرَ التقديم والتأخيرَ في الاسعاف عاف
سُحبُ اقطار السما لو لم تكِفْ ما ضرّ اذ
للورى توكاف غادي كفهِ الوكّاف كاف
دُم على رغم العِدَى وارْبحْ بعود العيد في
دولةٍ غرّآء فيها أدوَمُ الالطاف طاف

اسئلة واجوبتها

القاهرة — لا ازيدكم علماً بما لأبي تمام الطآئي من المقام الرفيع في اندية اهل الادب حتى ان منهم من يجعلهُ في رتبة المتنبي او يرفعهُ عليهِ الا اننا الى الآن لم نظفر لديوانهِ بشرحٍ يكشف عن معانيهِ الحجاب. وقد وقفت منذ مدة على تقريظكم لنسخةٍ منهُ طُبعت من عهدٍ قريب في بيروت مفسرة بقلم الشيخ محيي الدين افندي الخياط فبادرت الى طلبها وما صدّقت ان حصلت في يدي حتى اقبلت عليها اقبال الظمآء على زلال المآء . وكان اول ما اتفق لي الوقوع عليهِ القصيدة التي اولها « السيف اصدق انبآء من الكتبِ » فعكفت على مطالعتها ومقابلة كل بيتٍ بما علّق عليهِ من التفسير وانا اطمع ان استخرج بواسطتهِ ما غمض عني من معاني هذا الشاعر ففاجأني هناك ما اقامني بين اليأس من مطلبي والضحك من آمالي وعجبت من تقريظكم لهذا الكتاب فوق عجبي من سكوتكم عن نقدهِ (المعذرة) . على انني غالطت نفسي بعد ذلك وعدت الى تصفح

قصائد أُخر من الديوان فوجدت ان الرجل لم يفارق طريقتهُ في جميع الكتاب بل وجدت انهُ فضلاً عن كونهِ لم يأتِ بما يفيد الكشف عن اغراض الشاعر كان كثيرٌ من تفسيرهِ يزيد الكلام اشكالاً والافهام تعسفاً. ومصداقاً لما اقول تأذنون لي ان اورد لكم بعض امثلة من مواضع متفرقة من الكتاب وذلك كقول ابي تمام من القصيدة المذكورة (ص ١١)

كم احرزت قضب الهنديّ مصلتةً تهتزُّ من قضبٍ تهتزُّ في كثبِ

وقد ذكر في تفسير هذا البيت ما نصهُ « قضب الهندي السيوف مصلتة مسلولة . الكثب القرب » اهـ . فاذا بدّلنا الفاظ البيت بالفاظ المفسر جآءت صورة الكلام هكذا « كم احرزت السيوف مسلولةً تهتزُّ من قضبٍ تهتزُّ في قرب » فانقلب البيت الى ضربٍ من الطلاسم لا مطمع في حلهِ . وجآء في صفحة ١٢ من قصيدة اخرى

اصلٌ كبرد العصب نيط الى الضحى عبق بريحان الرياض مطيَّبِ

وقال في تفسيرهِ « برد العصب نوع من الثياب يصبغ ثم يحاك . نيط علق » . هذا كل ما جآء في تفسير هذا البيت وهو كلا تفسير لان الاشكال كل الاشكال فيما بقي منهُ . ولينُظَر ما معنى الاصل هنا وكيف يعلَّق الاصل او البرد بالضحى ثمَّ بماذا جرُّ «مطيَّب» في آخر البيت واخيراً ما الذي يفهم من البيت كلهِ . ومن هذه القصيدة

يا عقب طوق ايّ عقب عشيرةٍ انتم وربة معقبٍ لم يعقبِ

قال « العقب الاولاد ويراد بهِ الاتباع . المعقب كمِنبَر الخمار او القرط . يعقب يخلف » . فاذا جرينا على تفسيرهِ كان تأويل البيت هكذا « يا اولاد

طوق او يا اتباع طوق ايُّ اتباع اثم و ربة خمار او قرط لم يخلف » وليُتأمَّل أعَرَبيٌّ هذا الكلام ام هندي . وفي صفحة ٤٧

ولو تبسَّم عجنا الطرف في بَرَدٍ وفي اقاحٍ سقتها الخمر والضَرَبُ

قال « العجناء المخنثة . الطرف النظر . الاقاح نوع من الزهر . الضرب العسل الابيض » . فتأويل البيت « لو تبسَّم مخنثة النظر في بَرَدٍ وأَقاحٍ سقتها الخمر والعسل الابيض » ..... وفي صفحة ٨٢

مالي بَربعٍ منهمُ معهوده الا الاسى وعزيمة المجلودِ

وذكر في تفسيرهِ ما نصهُ « الربع المنزل . الاسى الحزن . المجلود المضروب بالجلد » . قلت لله درّ ابي تمام لقد اسكرنا بمعانيهِ وانما الفضل في ذلك للمفسر فانهُ لولاهُ لبقيت ابيات هذا الشاعر موصدةً على ما فيها من الجواهر . وفي صفحة ٢١٦

وهي كالظبية النوار ولكن ربما امكنت جُناةَ السَحُوقِ

وقال في تفسيرهِ « الظبية الغزالة . النوار النفور . الجناة القاطفون » فكان المعنى على هذا « هي كالغزالة النفور ولكن ربما امكنت قاطفي النخلة الطويلة » ..... وفي هذه القصيدة

يوم حلق الملمّات ذاك وهذا الـ يوم في الروم يوم حلق الحلوقِ

ولم يزد في تفسيرهِ على قولهِ « الملمّات النازلات» ولينظر اللبيب ماذا يفهم من البيت بعد هذا التفسير . و بقي هنا ان وزن الصدر مختلّ على ما ارى واظن ان في روايتهِ خطأ

واكتفي الآن بهذار القدر راجياً الجواب على كل ذلك كما ارجو بلساني

ولسان كل اديب ان تفرّغوا شيئاً من وقتكم لمطالعة هذا الديوان وتصحيحهِ كما فعلتم بكتب الاب شيخو وصاحبهِ فانهُ من الكتب الجليلة التي تستحقّ عنايتكم وان لم يكن التفسير يستحق ذلك في نفسهِ والا فلا اقلّ من بيان رأيكم فيهِ ليكون الطلاب على بينةٍ من امرهِ والسلام عليكم ورحمة الله

احد مشتركي الضيآء

مصطفى رشاد

الجواب في الجزء التالي ان شآء الله

آثار ادبيّة

السلاسل الذهبية لاتقان الخطوط العربية والفارسية — هي مجموعة دفاتر من اجمل الخطوط رسماً واتمّها إحكاماً وقفنا منها على اربعة دفاتر هي التي طُبعت الى الآن احدها بالقلم الثلث الموزون والثلاثة الباقية بخط الرقعة وكلها من وشي اقلام حضرة الخطّاط الشهير والمتشرع الاصوليّ الفاضل عزتلو نجيب بك هواويني استاذ اللغة والخطوط العثمانية في الكلية الشرقية بمدينة زحلة . وقد تأنق فيها ما شآء ذوقهُ اللطيف وبنانهُ الرشيق مع العناية الكاملة بجودة الطبع ونظافتهِ فجآءت كانها سلاسل ذهب تحلى بها لبّات الطروس وتنافس حُلَل الرياض وحلِي العروس

والدفاتر المذكورة تباع في جميع المكاتب العربية المشهورة وثمن الدفتر منها في القطر المصري ٥ مليمات

فكاهات

شرلوك هولمز [١]

— ١٠ —

النظّارات الذهبية

كنت في ليلة من ليالي آخر نوفمبر سنة ١٨٩٤ مع صديقي شرلوك في منزلنا وكانت الرياح تهب بعنف والامطار تتساقط بغزارة وقد اشتد البرد كثيراً حتى ان النار المستعرة في الموقد لم تكن كافية لتدفئة الغرفة التي نحن فيها . وكان شرلوك مكبًّا وفي يده منظار يفحص بهِ خطوطاً دقيقة مكتوبة فتركتهُ واقبلت الى النافذة المطلة على شارع باكر فوجدتهُ على طولهِ مقفراً مظلماً ما خلا انوار المصابيح المتفرقة التي كانت تتقطع اشعة نورها بتساقط المطر حولها ورأيت في آخر الشارع عربة واحدة تقترب فعجبت من ركابها لخروجهم في مثل تلك الليلة الباردة . وعدت الى شرلوك فرأيتهُ قد طرح منظارهُ جانباً وقال كفى الليلة فان هذا العمل يتعب النظر كثيراً ولحسن الحظ ليس علينا ما يستدعي خروجنا في هذا الليل تحت المطر . ولم يكد يتم كلامهُ حتى اقتربت العربة التي كنت رأيتها قادمة ثم وقفت حركتها امام باب منزلنا وسمعنا قرع الجرس . فنظرت من النافذة فرأيت رجلاً قد ترجل ووقف ينتظر فتح الباب وبعد ان صرف عربتهُ صعد السلم حتى بلغ غرفتنا واذا هو ستانلي هوبكنس الشحني الذي كان شرلوك يحبهُ ويتوقع لهُ مستقبلاً حسناً . ولما استقرَّ بهِ الجلوس اقبل عليهِ شرلوك وقال لابدَّ من امرٍ مهمّ اوجب قدومك الينا الآن . فقال هو بكنس حقًّا ايها العزيز انني قضيت يوماً لم اذق فيهِ الراحة فهل قرأتم شيئاً عن حادث يوكسلي .

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

فقال شرلوك لم أرَ من جرائد اليوم سوى جريدة القرن الخامس عشر. فقال هو بكنس هذه الجريدة لم تكتب سوى بضعة اسطر ليست من الحقيقة على شيء ولكنني في هذه الدقيقة آتٍ من يوكسلي التي هي محل الحادثة فسأقصّ عليكم الخبر بكل تفاصيلهِ . وقد استُدعيت اليها بالبرق في الساعة الثالثة فركبت في سكة الحديد و بلغتها في الساعة الخامسة فاتممت الفحص وعدت في القطار الاخير الى لندن وحال بلوغي المحطة ركبت توًّا الى هنا وقد قصدتك قبل كل انسان ايها العزيز شرلوك لدقة الامر وخفائهِ وكثرة مشكلاتهِ مع بساطة ظواهرهِ فانني لم اتمكن من معرفة سبب او دليل اتخذهُ مبدأ لبحثي ولكن لا بدَّ من تلاوة الخبر كما وقع

يوجد في يوكسلي بيت قديم اشتراهُ منذ بضع سنوات رجل شيخ يدعى البروفسور كورام وهو عليل الجسم يقضي اكثر اوقاتهِ في السرير و بعض الاحيان يتوكأ على عصاهُ فيخرج الى الحديقة او يجرّهُ البستاني في عربة صغيرة تختص بالمرضى وقد اشتهر عنهُ انهُ عالمٌ واسع الاطلاع . اما بيتهُ فيتألف من مدبرة المنزل وتدعى مسس ماركر وخادمة تدعى سوسان تارلتون و يعرف الجميع ان صفات الاثنتين حسنة للغاية . وكان البروفسور يؤلف كتاباً علمياً فاضطرَّ الى كاتب يعاونهُ فادخل في خدمتهِ اثنين لم يتفق معهما فصرفهما واخذ ثالثاً يدعى ويلوبي سميث وهو فتى جاءهُ توًّا من المدرسة بعد احرازهِ الشهادة و يظهر ان البروفسور لاءمهُ هذا الفتى فكان مسروراً من خدمتهِ . وكانت واجبات الكاتب ان يدون ما يمليهِ عليهِ البروفسور قبل الظهر اما بعد الظهر فكان عليهِ ان يعدَّ الشواهد والمواضيع التي تلزم لكتابة الغد . وقد كانت صفات هذا الكاتب حسنة ايضاً كما تبين لي من شهاداتهِ المدرسية ولم يُعلم عنهُ في كل مدة خدمتهِ سوى انهُ كان لطيفاً مطيعاً سليم القلب ومع كل ذلك فقد وُجد في هذا الصباح ميتاً في مكتب البروفسور في احوال تدل على ارتكاب جريمة القتل . وقد اسلفت ان البروفسور كان كالمدفون حيًّا فهو لا يخرج على الاطلاق وكان كاتبهُ المذكور متعلقاً بهِ و بعملهِ وهو لا يعرف احداً من الجيرة فكان كمعلمهِ لا يفارق البيت ايضاً وكذلك المدبرة والخادمة فانهُ لم يكن ما

يستدعي خروجها البتة . بقي البستاني مورتمير واصلهُ جندي شهد حرب القرم في حداثتهِ وهو يقيم في كوخ عند طرف الحديقة . ولا يوجد في المنزل غير الاشخاص المذكورين . اما باب الحديقة فيبعد نحو مئة يرد عن الشارع العمومي ويقفل بزلاج بسيط لا يصعب فتحهُ . ولما اخذت في استنطاق الاشخاص المذكورين لم اجد بينهم من يستطيع ان يفيدني شيئاً سوى الخادمة سوسان فانها قالت لي انها كانت بين الساعة الحادية عشرة والظهر في الطبقة العليا منهمكة بتعليق الستائر وكان البروفسور لا يزال نائماً لانهُ اذا لم يكن الجوّ دافئاً فهو لا يفارق سريرهُ حتى ساعة الظهر وكانت المدبرة في جهةٍ اخرى من المنزل . اما الكاتب سميث فكان في غرفتهِ وسمعتهُ خرج منها فاجتاز الممر ونزل السلم ليذهب الى المكتب الذي هو في الغرفة السفلى وبعد نحو دقيقتين قرع اذنيها صراخ مخيف ارتفع من تلك الغرفة وكان الصوت غريباً جدًّا وغير طبيعي حتى لم تعرف هل كان صوت رجل او امرأة . ثم سمعت في نفس الوقت جري جسمٍ ثقيل كان يهتزّ لهُ البيت وعقب ذلك سكوت تام . اما الخادمة فانهُ اصابها شيء من الذهول فلما ملكت روعها نزلت السلم وكان باب المكتب مقفلاً ففتحتهُ فوجدت الكاتب سميث ملقىً على الارض فحاولت ان توقظهُ او ترفعهُ عن الارض واذا بالدم يتدفق من جرح في اسفل عنقهِ . وكانت الآلة التي استعملت في ذلك ملقاةً على الارض بجانبهِ وهي سكين صغيرة مقبضها من العاج وشفرتها حادّة طويلة وكانت دائماً موضوعة على مكتب البروفسور وهي مكشطةٌ يستعملها لمحو الكتابة او لبري الاقلام . وقد قررت الخادمة المذكورة انها ظنتهُ قد مات ولكنها اخذت قليلاً من المآء فسكبتهُ على جبينهِ ففتح عينيهِ نحو نصف دقيقة وقال بصوت ضعيف « البروفسور » .. « هي » .. ثم اجتهد ان يتم كلامهُ فلم يستطع فرفع عينيهِ قليلاً ثم فاضت روحهُ . وكانت اذ ذاك قد جاءَت المدبرة ولكنها لم تسمع هاتين الكلمتين الاخيرتين فلما رأت ما كان تركت الخادمة بجانب الجثة واسرعت الى غرفة البروفسور وكان جالساً في سريرهِ مضطرباً لانهُ كان قد سمع الصراخ وعلم ان شيئاً مهماً قد حدث في بيتهِ . وقد اكدت المدبرة

انهُ كان لا يزال بثياب النوم وانهُ يستحيل عليهِ لبس ثيابهِ بدون مساعدة البستاني مورتيمر الذي كان قد اوصاهُ ان يأتيهُ في الساعة الثانية عشرة

اما اقرار البروفسور نفسهِ فكان انهُ سمع الصراخ عن بعد ولم يعرف شيئاً غير ذلك ولم يفهم مغزى كلمتي سميث الاخيرتين بل يعتقد انهما من هذيان الموت . وقد اكد ان ليس للكاتب عدوّ ولا يمكن ان يكون لهُ عدوٌّ في العالم وانهُ حالما سمع بما حصل اوفد البستاني لمناداة الشحنة فاستدعاني هؤلاءِ بالبرق ولما ذهبت بنفسي وجدت كل شيء في محلهِ فاوصيت وشددت الاوامر بعدم المرور على الطريق الموصل الى الحديقة وان لا يغير شيء في الغرفة البتة . واتممت الفحص والملاحظة متبعاً طريقتك ايها العزيز شرلوك حتى اذا انتهيت اتيت بنفسي لاوضح لك ما رأيت واستشيرك في الامر وقد رسمت خريطة البيت ليسهل عليك معرفة صورة الحادث وهاهي ذه . ثم اخذ ورقة وناولها لشرلوك فجعل يفحصها واقتربت منهُ فرأيت الرسم وصرنا كاننا في نفس البيت الذي حصلت فيهِ الجناية . ثم اتم هو بكنس حديثهُ فقال لما دخلت الغرفة فحصت اولا عن محل دخول وخروج الجاني فتحققت انهُ كان من باب خلفي يتصل بالحديقة اذ لا يوجد بابٌ آخر يسهل الدخول منهُ فانهُ يوجد بابان آخران اولهما هو الذي دخلت منهُ الخادمة والآخر يوصل الى غرفة البروفسور . فوجهت انتباهي الى الباب الموصل الى الحديقة وكانت الارض لا تزال مرطبة بالمطر فبذلت جهدي في البحث عن اثر الاقدام فظهر لي ان الجاني من الماهرين جدًّا في صناعتهم لاني لم اجد اثر قدم واحدة في كل الممرّ فاستنتجت انهُ سار على طرف الممر فوق العشب النابت ليمنع ظهور آثارهِ ودلني على ذلك تكسير الحشيش المذكور مع انهُ لا البستاني ولا غيرهُ مرَّ في تلك الجهة منذ الصباح وقد بدأ المطر من الليل . اما هذا الممر فيتصل بالشارع وطولهُ نحو مئة يرد وهو عند آخره مبلط فلم اجد على البلاط اقل اثر . ثم عدت الى العشب فما تمكنت من معرفة الآثار هل كانت قادمة او ذاهبة ولا عرفت حجم القدم لان الاثر غير واضح تماماً . فتململ شرلوك في كرسيهِ وقال وماذا تحققت اذا كنت لم تتحقق شيئاً . فقال

هو بكنس مهلاً ايها العزيز فقد تحققت دخول شخص الى البيت فسرت في الرواق المتصل بالحديقة وكانت ارضهُ مغطاة ببساط فلم تبن عليهِ الآثار وبلغت المكتب الذي حصلت فيهِ الجناية فوجدت فرشهُ بسيطاً في الغاية وفيهِ مائدة كبيرة لها ادراج على الجانبين وخزانة في الوسط وكانت الادراج دائماً مفتوحة لعدم احتوآئها على ما يهمّ اما الخزانة فكانت مقفلة وهي تحتوي على اوراق مهمة وذات قيمة غير ان البروفسور اكد لي بعد الفحص الدقيق انهُ لم يفقد شيء من مكتبهِ مما دلني على ان الجاني لم تكن غايتهُ السرقة . ثم وصلت الى جثة الفتى فرأيت الجرح في جانب عنقهِ الايسر وهو ممتدّ من الامام الى الورآء مما يدل على انهُ ليس هو الفاعل بنفسهِ وانهُ لم يقع على السكين بالقضآء والقدر لاننا وجدنا السكين ملقىً على بعد من الجثة . وفضلاً عن ذلك فان كلمتي القتيل تدلان على ان الفاعل آخر وفوق هذا فقد وجدنا في يدهِ اليمنى نظارات ذهبية وقد علمنا انهُ كان سليم النظر لم يستعمل النظارات قط فثبت لنا انهُ انتزع هذه من القاتل . فاخذ شرلوك النظارات بيدهِ ففحصها بدقة ثم قال ان الجاني يا هو بكنس هو امرأة ثمينة اللباس لها انف عريض وعينان صغيرتان وجبهة واسعة وكتفان مستديرتان وقد ذهبت الى احد باعة النظارات مرتين في هذا الشهر . وبما ان نظاراتها قوية للغاية ولا يوجد كثير من تجار هذا الصنف فيمكنك بسؤالهم عنها ان تتوصل الى معرفتها سريعاً

وبينما هو بكنس وانا نتعجب من كلام شرلوك قال ان النظارات قد تكون من افضل الادلة لمعرفة اصحابها اذا جُهلوا ونحافة هذه النظارات تدل على ان صاحبتها امرأة وكونها من الذهب الخالص تدل على ان باقي لباسها حسن وثمين ويستدَلّ من اتساع الفتحة بين الزجاجتين ان انفها عريض وقصير ويغلب على صاحب هذا الانف ان تكون عيناهُ صغيرتين وجبهتهُ متسعة وكتفاهُ مستديرتين. اما ذهابها الى بائع النظارات مرتين فان فتحة ما بين الزجاجتين مبطنة بالفلين وقد لاحظت ان احدى القطعتين لا تزال جديدة والاخرى قد اسودّت من العرق والاستعمال فعلمت ان احدى القطعتين سقطت فاضطرت السيدة ان ترجع الى

البائع لتركيب غيرها . فقال هو بكنس لله درك يا شرلوك فقد كانت النظارات معي كل هذا الوقت ولم يخطر لي قط انهُ يؤخذ منها مثل هذه الادلة . اما الآن وقد علمت الخبر بتمامهِ كما اعلمهُ انا او اكثر فقد بقي عليَّ ان ازور جميع المحلات التي تباع فيها النظارات بعد ان ارجع صباح غدٍ الى يوكسلي لعلي اتوصل الى شيء جديد . فقال شرلوك واظنك ترغب ان نرافقك فلا انكر انني ارى في هذا الامر ما اود ان افحصهُ بنفسي فسنرافقك غداً ان شآء الله واذ لا فائدة من الخروج الآن في هذا الليل العاصف فقم بنا نتوسد هذه المقاعد ونريح اجسامنا استعداداً للغد

وفي الصباح هدأت العاصفة فسرنا وكان البرد قارساً جدًّا فاقلّنا القطار الى اقرب محطة نصل منها الى يوكسلي وسرنا من هناك الى ان بلغنا الحديقة فدخلنا وبدأ شرلوك بفحص الممرّ حيث كانت آثار الاقدام على العشب النابت وكان يهز رأسهُ من حين الى آخر ثم قال يظهر لي ان المرأة لم يكن قصدها القتل والاَّ لكانت احضرت سلاحها معها ولم تستخدم المكشطة التي وجدتها على مائدة البروفسور . ولكن من لنا بمن يعلمنا مقدار الوقت الذي صرفتهُ في المكتب قبل وصول سميث المسكين . فقال هو بكنس انها لم تلبث طويلاً لاني علمت من مسس ماركر المدبرة انها كانت في نفس الغرفة قبل الحادث بربع ساعة . فقال شرلوك هذه فائدة ضرورية لكن بقي ان نعلم ما ذا كان غرض القاتلة من دخولها الغرفة . واذ ذاك وقع نظرهُ على قفل الخزانة فقال ها انني ارى اثراً على نحاس القفل كانهُ تجربة لفتحهِ فاين يكون مفتاحهُ عادةً . فقيل لهُ انهُ لا يفارق البروفسور . فهزَّ رأسهُ وكانهُ استنتج شيئاً آخر ثم صرف المدبرة وقال يظهر اننا قد توصلنا الى تتبع الامر كما حصل فان القاتلة دخلت من هذا الباب وتوجهت الى الخزانة فحاولت فتحها وبينما هي كذلك اذ دخل سميث فاسرعت في اخراج المفتاح فجرح النحاس وترك هذه العلامة . واراد سميث ان يقبض عليها فتناولت شيئاً لتدفعهُ عنها فاتفق لسوء الحظ انها صادفت يدها السكين فاغمدتهُ في عنقهِ وكانت الضربة قاضية ويظهر انها عادت من حيث اتت . وقد فهمت ان هذا الباب يفضي الى الرواق

ومنهُ الى الحديقة والباب الذي بجانبهِ يوصل الى غرفة البروفسور فهلموا بنا اليهِ . فسرنا في ممرّ كالسابق مفروش ببساط ولما بلغنا غرفة البروفسور وجدناها فسيحة متسعة وقد ملئت خزائنها بالكتب والمجلدات الضخمة و بقي كثير منها ملقى هنا وهناك لعدم وجود محلٍ لهُ . وكان في وسط الغرفة سرير عليهِ البروفسور وهو طويل القامة نحيف الجسم رقيق الوجه مستطيلهُ ولهُ عينان سوداوان عليهما آثار القلق والخوف . وكان شعر رأسهِ ولحيتهِ ابيض كالثلج ما خلا القسم المحيط بفيهِ فكان مصفرّ اللون من الدخان وكانت لفافة التبغ بين اصابعهِ

فبعد ان حييناهُ وترحب بنا قال انني اشكرك يا حضرة المستر هولمز لتكرمك بالمجيء لمساعدتنا فقد سمعت عنك ما يؤكد لي انك ستوضح لنا الامر بتمامهِ.ولست ازيدكم علماً انني خسرت بفقد سميث خسارةً لا تعوض فقد كان يدي اليمنى وأرى بمصرعهِ انني فقدت الذاكرة ولم يعد دماغي يقوى على تصوير الافكار فيا لله ما اشد هذه المصيبة عليّ . ثم قدم لنا من دخانهِ وقال انهُ مولع بالتدخين وانهُ يستحضر اللفائف من مصر فينفق منها في كل اسبوعين الف لفافة . فرفضت انا اما شرلوك فاخذ لفافة وجعل يشربها بمنتهى الشره وهو يتخطى في الغرفة ولما فرغت اشعل الثانية والثالثة والرابعة فعجبت لذلك وتحققت ان لا بدّ لهُ في ذلك من غاية . ثم وقف فجأةً وسأل البروفسور عن رأيهِ في مقتل الفتى وكلمتيهِ الاخيرتين . فقال البروفسور انا اعلم انهُ لم يكن لسميث عدوٌّ قط ولا يوجد من يهمهُ قتلهُ والذي اظنهُ انا انهُ انما انتحر لاسباب غرامية نجهلها . اما كلمتاهُ الاخيرتان فلا أفهم منهما شيئاً ولعلهما كانتا مجرد توهم من الخادمة التي نقلتهما . واما وجود النظارات في يدهِ فيمكن انها كانت اثراً من الحبيب الذي جفاهُ او اوجب يأسهُ حتى انتحر . فقال شرلوك وهل يمكنك ان تخبرني عما يوجد في الخزانة التي في المكتب . قال ليس فيها ما يهم اللصوص فانها تحتوي على اوراقي البيتية ورسائل زوجتي المسكينة وشهادات المدرسة والامتيازات التي نلتها في صباي وهو ذا مفتاحها فافحصوها اذا شئتم . فاخذ شرلوك المفتاح وفحصهُ بنظرهِ الحاد ثم اعادهُ اليهِ وقال لا ارى ما يوجب ذلك ونحن

خارجون الى الحديقة لاخلو بافكاري وسأعود بعد الظهر ويغلب على ظني انني سأتمكن حينئذٍ من اطلاعك على الحقيقة

ولما خرجنا ذهب هو بكنس الى القرية ليسأل الشرطة لعلهم سمعوا شيئاً أو اكتشفوا امراً يختص بالحادث وبقيت وحدي مع شرلوك وكان صامتاً . فسألتهُ هل تبين لهُ دليلٌ او وجد املاً يقربهُ من الحقيقة . فقال امامي دليل عظيم الاهمية يا وطسن وهو اللفائف العديدة التي شربتها في غرفة البروفسور فاذا صدق ظني تمكنت من القآء القبض على القاتلة في منتصف الساعة الثالثة واذا خانتني الفطنة في هذه المرة ذهبت توًّا الى باعة النظارات فلا اعود حتى اعرف الغريم . ومرت بنا المدبّرة مسس ماركر فناداها شرلوك وجعل يحادثها وكان لهُ مقدرة غريبة على محادثة السيدات ثم اخذ يسألها عن اطوار البروفسور وبعض عوائدهِ فقالت في عرض الحديث انهُ مولع جدًّا بالتدخين فهو لا يترك اللفافة من يدهِ نهاراً ولا ليلاً الى ان ينام . فقال شرلوك فمن الضروري اذاً ان يفقد البروفسور شهوة الطعام ويغلب على ظني انهُ لم يأكل صباح هذا اليوم وربما لم يتناول طعام الظهر ايضاً . قالت بل الامر بالعكس فقد كان اكلهُ قليلاً الى ان حصلت جناية الامس فقد تعشى ضعفي طعامهِ العادي وتناول في هذا الصباح كل ما احضرتهُ لهُ من الزاد واوصاني اذا صنعت لهُ طعام الظهر ان اكثر اللحم . معاني انا منذ دخلت المكتب امس ورأيت جثة القتيل الى الآن لم اذق القوت

وعاد هو بكنس فاخبرنا انهُ علم من الشرطة ان سيدة غريبة عن القرية جآءتها منذ يومين ولكنهم لم يروها الا مرة واحدة ويظن انها عابرة سبيل فقط . ولما صار موعد الغدآء دخلنا جميعنا الى غرفة الاكل واكلنا مريئاً . ولما فرغنا من تناول الطعام وشرب شرلوك لفافتهُ نظر الى ساعتهِ ثم وثب فجأةً وقال قد بلغنا الساعة الثانية فهلموا بنا الى غرفة الاستاذ . ولما دخلناها وجدناهُ قد نهض من سريرهِ وارتدى ثيابهُ وجلس على كرسي كبير فترحب بنا ثم ادنى علبة اللفائف من شرلوك وقال هل تمكنت من اكتشاف شيء من هذا السر العظيم . وقبل ان يجيبهُ شرلوك مد يدهُ

ليأخذ لفافةً وتظاهر بعدم الانتباه فاوقع العلبة الى الارض وتناثرت اللفائف فانحنينا لالتقاطها واذ ذاك انتصب شرلوك وقال نعم يا حضرة البروفسور قد وضحت لي الحقيقة . فنظرت الى هوبكنس فرأيتهُ ينظر اليَّ بتعجبٍ شديد . اما البروفسور فزاد اصفرار وجههِ وقال كيف ظهرت لك هل كان ذلك في الحديقة . فقال شرلوك كلاَّ بل في هذه الغرفة . فقال البروفسور وقد كاد ينقطع صوتهُ هنا ؟ وفي اي وقت . قال في هذه الدقيقة . فتبسم البروفسور بتكلف وقال يظهر لي انك تهزأ بنا كأن الامر لا يستحق الاهتمام . فقال شرلوك قد اتَّبعت حلقات البحث يا مولاي وتأكدت متانة كل حلقة منها فانا لا اعرف مقدار اشتراكك في هذه الفاجعة ولكني اعتقد انني سأسمع تفاصيلها من فيك عما قليل . ولكي اوفر عنك تلاوة ما عرفتهُ حتى الآن اقول

ان سيدةً ذات لباس فاخر دخلت مكتبك بالامس وقصدها الاستيلاء على اوراق تهمها مودعة في خزانة المكتب وكانَ لديها مفتاح نظير المفتاح الذي اريتنيهِ واؤكد لك انك لم تعرف بقصدها انت وقد فتحت الخزانة وأخذت ما تريد . واتفق اذ ذاك دخول الكاتب سميث فاخرجت المفتاح بسرعة فخدش بخروجه القفل النحاسي وكان من الواجب ان يظهر مثل ذلك الخدش على طرف مفتاحك لو كان هو نفسهُ الذي استُعمل . ولما رأى الكاتب السارقة همَّ بالقبض عليها فدفعتهُ عنها بشيء اخذتهُ عن المائدة وهي لا تدري ما هو فاتفق ان كان السكين وتسبب عن ذلك موت الفتى على غير قصد من السيدة لانها لو كانت مصممة على ارتكاب القتل لكانت احضرت سلاحها معها . وكانت هذه السيدة تستعمل النظارات فلما رفعت يدها بالسكين حاول ان يدفعها عن نفسهِ فوقعت يدهُ على نظاراتها ثم سقط الى الارض وبقيت النظارات في يدهِ . ولما كانت حسراء البصر لا ترى بوضوح بدون نظاراتها حارت في امرها ورأت عند خروجها من الباب رواقاً مستطيلاً مفروشة ارضهُ ببساط فظنتهُ الرواق الذي دخلت منهُ من الحديقة والرواقان متشابهان ولما بلغت آخر الرواق رأت باباً فتحتهُ فوجدت نفسها امامك في هذه الغرفة

فجحظت عينا البروفسور وقطب حاجبيهِ وبانت عليهِ علائم الانزعاج والارتبارك فقال يظن السامع يا مستر شرلوك ان قصتك حقيقية فكيف امكن ان تدخل القاتلة الى غرفتي ولا اراها مع اني لم افارق الغرفة ولم اكُ نائماً . فقال شرلوك انا لم اقل انك لم ترَها بل اؤكد انك رأيتها وعرفتها وكلمتها وساعدتها على الاختفاء . فاحمرّ وجه الاستاذ ولم يملك غيظهُ وقال لهُ لقد ثبت عندي انك تهذي وقد فقدت عقلك يا شرلوك فاذا كنت تدعي انني ساعدتها على الاختفاء فاين هي الآن . فقال شرلوك بلطف وبرود عظيمين هي يا مولاي هنا واشار بيدهِ الى خزانة صغيرة مقفلة كانت الى جانب الغرفة . فبانت على البروفسور اشارات اليأس وكان قد انتصب فتلاشت قواهُ وسقط على كرسيهِ خائر العزم غائر العينين . وفي نفس الدقيقة فُتح باب الخزانة التي اشار اليها شرلوك وخرجت منهُ سيدة فقالت قد صدقت يا هذا فها انا ذه وكانت هيئتها وجسمها مطابقة للوصف الذي ذكرهُ شرلوك سابقاً . وما رآها هو بكنس حتى وثب اليها فقبض على يدها فدفعتهُ عنها بلطف وقالت انني اسيرتكم ولم يعد في امكاني الهرب فلا تسرع في اخذي . وانني سمعت كلامكم وعلمت انكم عرفتم الحقيقة فانا اعترف امامكم بانني القاتلة وان يكن القتل عن غير تعمد . ثم تغير لونها تغيراً سريعاً فقالت لم يبقَ لي الا دقائق قليلة فلا تقاطعوني في حديثي لانهُ يجب ان اعترف بكل شيء وبكل سرعة

انني زوجة هذا الرجل الذي تدعونهُ البروفسور وتظنونهُ انكليزي الاصل وما هو بالحقيقة الا روسي واسمهُ سرجيوس. وكان البروفسور قد امتقع واصبح اشبه بالموتى من الاحياء فنظرت اليهِ بازدراء ومضت في حديثها فقالت وانني اعجب من تعلقهِ بحياتهِ الدنيئة وقد نزع حياة كثيرين سواهُ ولكنهُ يوجد الله فلا بد ان يلقى جزاءهُ آجلاً او عاجلاً . اجل انني زوجة هذا الخبيث وقد اقترن بي وهو في الخمسين من عمرهِ وانا في العشرين وكان ذلك في روسيا وقد رضيت بهِ لضعف عقلي وسوء طالعي . وكنا جميعاً من جمعية النيهيلست التي تعرفونها فاتفق ان قامت جمعيتنا بثورةٍ قتل فيها بعض رجال الحكومة فسجن كثيرون والقي القبض

على عدد من المتهمين ونهض هذا الرديء ليخلص نفسهُ فوشى بزوجتهِ واخوانهِ وكانت نتيجة خيانتهِ ان ساقوا بعضنا الى النطع والبعض الى سيبيريا وكنت انا من جملة المنفيين غير ان نفيي كان الى مدة قصيرة . اما زوجي فجمع ما لديهِ من اموال الجمعية وامواله وهرب الى انكلترا متخفياً ليقينهِ بانهُ اذا علمت الجمعية بمقرهِ اهلكتهُ للحال . وكان بين رفاقنا في الجمعية فتى احبتهُ واحبني وكان اديباً لطيفاً بعكس زوجي هذا بل كان قد رأى الاقلاع عن غاية الجمعية لاعتقادهِ سوء مقاصدها وكتب الينا مراراً ان نحل عنا قيودها ونبتعد عن الاختلاط بها وقد علمت اني لو اظهرت رسائلهُ العديدة التي كان يكتبها الينا او مذكراتي اليومية لكفت برهاناً يوجب فك اسرهِ وخلاصهُ من النفي الابدي الذي حكم عليهِ بهِ ظلماً . اما زوجي فكان قد اخفى تلك الرسائل والمذكرات وقد صمم على اهلاك ذلك الفتى ونجح بعض النجاح لانهم ارسلوا حبيبي الكسيس مقيداً بالاغلال الى سيبيريا حيث قضي عليهِ ان يقضي باقي حياتهِ في الشقآء والعذاب

وكانت تظهر عليها علائم الآلام الداخلية ولا يزال لون وجهها يزداد تغيراً فقالت يجب ان اتمم حديثي بسرعة فلا تمنعوني . فلما انتهت مدة منفاي خرجت ابحث عن رسائل الكسيس ومذكراتي لاعتقادي انها تقنع الحكومة الروسية ببرآءة ساحتهِ واتوصل بها الى اطلاق سراحهِ . وعلمت ان زوجي قد جآء الى انكلترا فتبعتهُ وقضيت اشهراً في البحث عنهُ حتى اهتديت الى محل وجودهِ وعلمت انهُ يحفظ في خزانتهِ تلك الاوراق وانني اذا ذهبت اليهِ رأساً وطلبتها منهُ لا يسلمها اليّ فعمدت الى الحيلة واستأجرت رجلاً دخل في خدمتهِ بصفة كاتب وهو الكاتب الذي كان قبل الفتى سميث فوجد ان الاوراق محفوظة في الخزانة فطلبت منهُ ان يأتيني بهيئة القفل ويرسم لي مدخل البيت وغرفهُ ففعل واخبرني ان المكتب لا يدخلهُ احد في الصباح لان البروفسور يبقى مع كاتبهِ في غرفتهِ الى الظهر . فجمعت كيدي وعملت المفتاح وصممت على المجيء واخذ الاوراق بنفسي وقد نجحت في عملي ففتحت الخزانة واخذت الاوراق وكنت على وشك اقفالها فدخل الكاتب

فجأةً وقبض على يدي وكنت قد رأيتهُ في الصباح على الطريق وسألتهُ عن محل سكنى البروفسور . فقاطعها شرلوك وقال نعم وقد اخبر البروفسور بذلك لان كلمتيهِ الاخيرتين « البروفسور » و « هي » تفيدان انهُ متى قيل للبروفسور « هي » عرف انها السيدة التي ذكرها لهُ . فقالت السيدة لا تقاطعني يا هذا لانهُ يجب ان اتمم حديثي في الحال . واذ ذاك اردت ان ادفع الفتى عني وصادفت يدي السكين فاغمدتها في عنقهِ وانا فاقدة الادراك . فلما سقط اسرعت من الغرفة ولم اهتدِ الى الطريق التي دخلت منها فما وجدت نفسي الا في هذه الغرفة فرآني زوجي وعرفني وهمَّ باظهاري فهددتهُ بأن حياتهُ في قبضة يدي وانهُ اذا شكاني الى الحكومة شكوتهُ الى الجمعية التي لا تزال تبحث عنهُ . ولم افعل ذلك رغبةً مني في الحياة بل لرغبتي في البقآء الى ان اتمم عملي واخاص الكسيس المظلوم . وعرف زوجي انني انفذ تهديدي اذا اصرَّ وكان جباناً يخاف على حياتهِ الخبيثة فادخلني الى هذه الخزانة وهي قديمة جدًّا كما ترون قد ملأها العنكبوت . وكان اذا اتاهُ طعامهُ الى غرفتهِ يقفل بابهُ ويدعوني فآكل واشرب معهُ وقد اتفقنا انهُ بعد خروج الشحنة انسلّ ليلاً كما دخلت واترك هذه الديار فعاجلنا القضآء بل ادركت غايتنا فطنتك ياحضرة المستر شرلوك لاني سمعتهم ينادونك بهذا الاسم ولا اعتقد الا انك من ابالسة الجحيم . ثم اخذت من صدرها رزمة اوراق وقالت هذه هي الاوراق التي يتوقف عليها خلاص الكسيس فمهما تكن يا شرلوك من الملائكة البيض او السود فانهُ يلوح على وجهك علامات الصدق والشرف فاستحلفك بشرفك ان توصل عني هذه الاوراق الى السفارة الروسية . اما انا فقد اتممت عملي وعلى الدنيا السلام

ولما قالت ذلك اخذت من يدها قارورة صغيرة وادنتها من فيها وكان شرلوك يراقبها فوثب اليها كالنمر الضاري ونزع القارورة من يدها ولكنها كانت قد تجرعت ما بقي فيها . فضحكت ضحكةً منكرةً وقالت قد تأخرتم فانني قد ابتلعت نصف هذا قبل ان اخرج من مخبئي وانا لا اجهل فعل هذا السائل فلذلك اسرعت باقراري قبل ان تعاجلني المنية وحين اتممت كل ما اريد اتمامهُ ابتلعت الباقي ...

ان رأسي ... وانا ذاهبة ... لا تنسَ الاوراق .... ثم تشنجت اعضآؤها وانتفضت انتفاضاً مخيفاً وسقطت الى الارض فاقدة الحياة

. . . .

وبينما نحن عائدون الى لندن قال شرلوك ان الامر كان بسيطاً للغاية ولكنهُ لو لم يخطف القتيل النظارات التي سهلت لنا كشف القاتلة لذهب كل اجتهادنا ادراج الرياح . وقد عرفت من قوة النظارات ان صاحبها لا يمكنهُ ان يرى طريقهُ واضحاً بدونها ولذلك تحققت انهُ يستحيل ان يرجع في الحديقة دائساً على طرف الممرّ فوق العشب النابت لانهُ يصعب ذلك حتى على سليم البصر فايقنت ان القاتلة لم تفارق البيت ما لم يكن لديها نظارات اخرى وهذا بعيد عن الاحتمال . ولما رأيت مشابهة الممرّ الموصل الى الحديقة للممر الموصل الى غرفة البروفسور خُيّل لي انها في خروجها غلطت فوصلت الى الغرفة بدل الحديقة ولما دخلتُ الغرفة اول مرة فحصتها بدقة لعلي اهتدي الى مخباءٍ فيها فلم اجد اثراً للابواب السرية ورأيت البساط مثبتاً في الارض بالمسامير فتحققت انهُ لا يوجد منفذ تحتهُ . وكانت جميع الخزائن زجاجية الابواب ملأى بالكتب الا تلك الخزانة القديمة فشككت فيها ووجهت اليها اهتمامي ثم جعلت اشرب تلك اللفائف بشَرَه ولم يكن قصدي الاّ القآء رمادها الى الارض وعلى الخصوص امام تلك الخزانة ثم خرجنا واعتقدت ان القاتلة لا تستطيع البقآء بدون قوت فلا بد ان تخرج من مخبئها فتظهر آثار اقدامها على رماد اللفائف وساعدني في ظني هذا ما قالتهُ لي المدبرة عن البروفسور من انهُ بعد حدوث القتل ازداد اكلهُ فلم يبقَ عندي ريب ان شخصاً آخر يشاركهُ في طعامهِ . فلما انتهى موعد تناول الطعام ودخلنا الغرفة وقدّم لي لفافة احتلت حتى اوقعت العلبة الى الارض فكان لي فرصة اراقب فيها الرماد الذي نصبتهُ شركاً فوجدت ان القاتلة قد خرجت من مخبئها في اثنآء غيابنا ....

ولما اتم شرلوك حديثهُ كنا قد صرنا بقرب دار الشحنة ففصل عنا هو بكنس ليعود الى اشغالهِ وهو يترنح من شدة العجب واخذنا نحن طريق السفارة الروسية